# مقاربة سيكوديناميةللجلد عند توأم حقيقي
# دراسة مقارنة من خلال اختبار الرورشاخ

أ. د . شرفي محمد الصغير
أ. طالب حنان

تتمثل دراستنا في مقاربة سيكوديناميةللجلد ، وهذا من خلال مقارنة توأم حقيقي ويتعلق الأمر بفتاتين مسعفتين تعرضتا لصدمات متراكمة ولكنهما لم تستجيبا بالطريقة نفسها ، إذ إن إحداهما تغلبت على المحن التي واجهتها فهي جلدة والأخرى وجدت صعوبات في ذلك . تتعلق الفرضية العامة الفارقية لدراستنا بالتوظيف الجيد لنظام ما قبل الشعور عند التوأم الجلدة ، وإخفاق غير الجلدة في هذا التوظيف . لقد تحققت هذه الفرضية من خلال تحقق الفرضية الإجرائية المتعلقة بنوعية العقلنة ، والفرضيات الجزئية المتعلقة بالحياة الخيالية ، الإرصان العقلي ، والقدرة على ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات .
انطلاقا من هذه الدراسة تبين لنا أن الجلد يتحدد بسيرورات نفسية فردية وعلائقية ولا يرجع لعوامل وراثية جينية .

Notre étude porte sur une approche psychodynamique clinique de la résilience, en comparant deux jumelles monozygotes assistées soumises à un cumul de traumatismes, l'une résiliente et l'autre non. Nous avons formulé une hypothèse générale différentielle relative au bon fonctionnement du système préconscient chez la résiliente, et l'échec de ce fonctionnement chez l'autre. Cette hypothèse est confirmée en vérifiant l'hypothèse opérationnelle relative à la capacité de mentalisation et les hypothèses partielles relatives à l'espace imaginaire, l'élaboration mentale et la liaison de l'affect d'angoisse ou de dépression avec une représentation.
La résilience apparait au vu de cette étude, plutôt déterminée par des processus psychiques individuels et relationnels que par des facteurs héréditaires génétiques .

تعترض الإنسان مجموعة من التهديدات التي ترجع للمحيط الذي يعيش فيه، فحياته بذلك ليست في منأى عن الوضعيات الصادمة الفردية أو الجماعية والتي يستجيب لها بمجموعة من التظاهرات العيادية التي تأخذ في بعض الحالات شكل تناذر عيادي .

منذ أن رأى مصطلح الصدمة النفسية النور، فرض على الباحثين والمختصين الممارسين سلسلة من السببيات والحتميات التي من بينها مقاربة الصدمة من باب قابلية الجرح

وعوامل الخطر التي تخص كل الأحداث والوضعيات المؤدية للسلوكات المرضية، حيث اعتقد أن الترعرع في وسط عائلي متدني أو أحادي (موت الأب أو موت الأم) أو محيط مشحون بالصراعات والاضطرابات النفسية من شأنه أن يهيئ الأفراد للسيكوباتية والانحراف الأخلاقي ( إساءة المعاملة، الجنوح، الإدمان ..) .

وتعود هذه الحتمية إلى ما أسماه Cyrulnik "انحراف الممارسة" حيث أن الممارسين لا يستقبلون في عياداتهم إلا الفئة التي تعاني من صعوبات، وبتحليل ماضي هذه الفئة توصلوا إلى أن أغلبية هؤلاء الأشخاص كانوا عرضة لسوء المعاملة في طفولتهم، ولكن لو لجأوا للدراسات التنبؤية، ولو درسوا مآل هؤلاء الأطفال المتعرضين لسوء المعاملة، لكانت نتائجهم مختلفة تماما، فالأشخاص الذين تغلبوا على المآسي، والذين لم يكرروا سوء المعاملة عبر الأجيال، هم أشخاص "مختفون"، "مقصيون" بقوا بعيدين عن العيادات والمصحات النفسية . فالواقع يفصح عن وجود أشخاص خارقين، أبهروا المختصين بانتصارهم على التجارب القاسية وبتمكنهم من بناء حياة إيجابية ناجحة ومنسجمة .

ولقد أطلق على هذا الانتصار لفظ الجلَد، فما معنى كلمة جَلَد ؟ . يبدو من الصعب وضع تعريف جامع للجلَد، إذ يحتوي التراث العلمي المتخصص على تعاريف مختلفة لهذا المفهوم، فأصل كلمة الجلَد الكلمة الفرنسية Résilience وهي كلمة لاتينية الأصل من résilientia تستعمل عادة في علم فيزياء المواد لتعني مقاومة المادة للصدمات القوية وقدرة بنية ما على امتصاص الطاقة الحركية للوسط دون أن تتحطم (Anaut, 2007, p.34 )، إذن في علم المعادن يعني الجلَد خاصية المواد التي تتمتع باللدانة والهشاشة في ذات الوقت، والتي تظهر قدرة على استعادة حالتها البدئية بعد صدمة أو ضغط متواصل .

وحسب القاموس التاريخي للغة الفرنسية (in Anaut, 2007, p . 35) كلمة résilier تتكون في الأصل من re ويعني حركة نحو الوراء و salire وتعني القفز أو الوثب، إذن résilience تعني الوثب إلى الخلف . ومن هنا كانت الترجمة الحرفية للغة العربية الرجوعية حسب سهيل إدريس 2007، أو الاسترداد حسب المركز الإسرائيلي لعلاج الصدمات النفسية، أو الجلَد كما ورد في الندوة التي نظمت في القدس حول الجَلَد في مارس 2007 ، إلا أننا نفضل كلمة الجلَد بمعنى الصبر على المكروه وتحمل الألم لما في ذلك من دينامية وخاصية إنسانية .

فالجلَد هو القدرة على النجاح، العيش والتطور إيجابيا على نحو مقبول اجتماعيا، بالرغم من الضغوط أو المحن التي تحمل في طياتها خطرا حقيقيا لمخرج سلبي . ويعود الفضل لـ Emmy Werner في إدخال كلمة الجلد حيز التوظيف السيكولوجي في أواخر الثمانينات بعد دراستها الطولية بجزر هاواي على 200 طفل فقير منحدرين من أسر متدنية المستوى، آباء ذهانيين أو مدمنين .. وضعت لهم مآلا أسود، وتنبأت لهم بالضياع والانحراف، ولكن بعد مرور

30 سنة فوجئت بعكس ما توقعت، فهؤلاء الأطفال حققوا نجاحا اجتماعيا مذهلا بالرغم من أنهم لم يحظوا برعاية نفسية خاصة . فكونت هذه الدراسة قاعدة صلبة للعديد من الأبحاث الأنجلوساكسونية التي تتسم بكونها دراسات وصفية، كمية تعتبر الجلد سمة شخصية ومن هؤلاء الباحثين نذكر Rutter سنة 1980 Garmezy et al سنة 1984 Masten et O'Connor سنة 1989 Luthar سنة 1991 . ومن الدراسات الحديثة نسبيا نذكر دراسة Louise Nadeau, Marc Corbière, Magali H. Dufour سنة 2001 حول استراتيجيات تكيف ضحايا التحرش الجنسي الجلدات والمدمنات، حيث طبقوا استبيان WCQ لـ Lazarus على 20 امرأة تعرضت للتحرش الجنسي جلدات، و20 امرأة أخرى تعرضت للتحرش الجنسي مدمنات قيد العلاج، فتوصلوا إلى أن الجلدات والمدمنات يستعملن استراتيجية البحث عن السند الاجتماعي وإعادة التقييم الإيجابية / البحث عن حلول لمواجهة التحرش، بينما تلجأ المدمنات دون الجلدات لاستراتيجيات التجنب والابتعاد .

هذا بالإضافة للدراسات ذات التوجه السلوكي المعرفي ( Jourdan Ionescu 2001 ; 2004) والنسقي البيئي (Vinay, 2004) التي تسلط الضوء على دور الدفاع الحامي، المرونة، الإنعاش، المعنى، التقييم، إيجابية الذات ..

في العشرية الماضية جلب مفهوم الجلد اهتمام الأخصائيين الفرانكفونيين إذ يعود الفضل للطبيب العقلي Cyrulnik Boris في إدخال مصطلح الجَلَد لسجل المفردات المتخصصة Le jargon الفرنسي من خلال كتابه كتابه Un merveilleux malheur سنة 1999 حيث استغل Boris دقة ملاحظة المختص الاتولوجي، أدوات الطبيب العقلي، تعاطف المحلل النفسي، ومهارات الروائي، ليصف كيف أن أفرادا مجروحين انتصروا على الضربات القاسية التي تلقوها، ونجحوا في تخطي ذلك المعاش، إذ وجدوا معنى لحياتهم ووضعوا في الوجود ما يجلب لهم السعادة، وذلك بتوفر عوامل داخلية وخارجية تتيح لهم الفرصة لنسج سيرورة الجلد .

عكف الفرانكفونيون على دراسة سيرورة الجلد والعوامل الحمائية الداخلية منها والخارجية التي تدخل في بنائه، وبهذا دخل مصطلح الجلَد علم النفس الإكلينيكي من بابه الواسع وتضاعفت الدراسات الكيفية التحليلية في هذا الحقل الخصب، فسلطت الضوء على وزن الآليات الدفاعية والإرصان العقلي في مواجهة الصدمات بالاعتماد على منهجية دراسة الحالة المقارن وعلى الاختبارات الإسقاطية، ومن بين هذه الدراسات نذكر دراسة Lighezzolo, Marchal et Theis سنة 2003 على أطفال من نفس العمر، مروا بنفس التجارب كسوء المعاملة، ودراسة Theis سنة 2006 لنيل شهادة الدكتوراه والمتمثلة في مقاربة سيكوديناميةللجلد عند أطفال في سن الكمون تعرضوا لسوء المعاملة الأسرية، ووضعوا بأمر قضائي في أسر مستقبلة، لجأت Theis في دراستها إلى المقارنة بين 12 ولدا وبنتا 6 منهم جلدين و6 غير جلدين، بالاعتماد على اختبارات إسقاطية وهي اختبار القصص، اختبار الرسم و

واختبار الرورشاخ، فتوصلت إلى أن للدور التكيفي لآليات الدفاع - بالدرجة الأولى - دور محوري في بناء الجلد، حيث تحققت هذه الفرضية عند 5 من الأطفال الجلدين، وعند كل الأطفال غير الجلدين، بينما تكتسي العقلنة والفضاء الخيالي أهمية أقل في بناء الجلد، في حين بدا لها أن وجود موّجه للجلد عند الأطفال الجلدين لا يعتبر ضروريا لبناء الجلد .

ما يعاب على هذه الدراسة هو عدم تجانس المجموعتين اللتين شكلتهما، كان من المفروض ضبط بعض المتغيرات، كسن الأطفال عند الوضع الأول، إذ تباين بين 15 شهرا إلى 6 سنوات، لم يحظوا في نفس الوقت بالمتابعة التربوية والتكفل نفسه، تواصل العنف عند بعضهم لمدة طويلة وهذا ما من شأنه أن يؤثر على نموهم النفسي .

هناك دراسة أخرى قام بها Claude de Tychey, Mariana Popa, Rosine Diwo, Amandine Theis سنة 2007 تداركوا فيها الملاحظات سابقة الذكر في دراسة Amandine Theis حيث كانت عينة الدراسة مكونة من توأم غير حقيقي (Dizygotes) وهما فتاتان رومانيتان تعرضتا لعدة صدمات متراكمة، الفرضيات الفارقية تعلقت بالآليات الدفاعية ضد قلق الانفصال، القدرة على المعالجة العقلية للإثارات النزوية العدوانية، وإمكانية إعادة بناء تقمصات جديدة مع موجهات الجلد كلها تحققت . فتوصلوا إلى أن العوامل المتدخلة في الجلد هي عوامل نفسية بحتة، وأقصوا الجانب الجيني الوراثي، ولكن الملاحظة التي نوجهها لهذه الدراسة كون التوأم غير حقيقي قد يختلف متاعه الوراثي بينما لو كان التوأم حقيقي لما اختلف الأمر، فما هو دور العوامل الجينية في الجلد ؟ .

أظهرت الدراسات الحديثة في علم الوراثة الجزيئي دور بعض البدائل الوراثية عند ربطها بعوامل خطر بيئية، وفي ميدان الجلد هناك دراسة واحدة من هذا النوع وهي دراسة Caspi et al سنة 2003 التي تفرض أنه عند الأطفال المتعرضين لسوء المعاملة الحاملين لبديل وراثي مرتبط بمستوى عال للأمين الأحادي أكسيداز "أ" وهو إنزيم لأيض النواقل العصبية، يكون احتمال إصابتهم بسلوكات سيكوباتية أقل بكثير من أولئك الذين لا يحملون هذا الأخير .

بالإطلاع على الدراسات السابقة والنقد الموجه لها، ما نحاول بحثه في دراستنا من خلال مقاربة سيكودينامية مقارنة بين توأم حقيقي تعرض لنفس الظروف الحياتية الرحمية ولنفس الضربات الموجعة في مجتمع مغاير للمجتمع الفرنسي أو المجتمع الروماني وهو المجتمع الجزائري الذي يساهم في تغيير نشوء الأنا الأعلى كونه مجتمعا مسلما عربيا، وكذا إيجاد مواضيع جديدة للنزوات المتسامية لها علاقة بما يجده هذا المجتمع، هو السيرورات النفسية المتدخلة في بناء الجلد .

- الفرضية الفارقية العامة : تتمتع التوأم الجلدة بتوظيف جيد لنظام ما قبل الشعور على

العكس من شقيقتها التوأم غير الجلدة التي تعاني من إخفاق في هذا التوظيف .

- الفرضية الإجرائية : تتمتع التوأم الجلدة بنوعية عالية من العقلنة على العكس من شقيقتها التوأم غير الجلدة التي تعاني من سوء العقلنة .

- الفرضية الجزئية 01 : تتمتع التوأم الجلدة بحياة خيالية ثرية على العكس من شقيقتها غير الجلدة التي تعاني من فقر الحياة الخيالية .

- الفرضية الجزئية 02 : تتمتع التوأم الجلدة بالقدرة على الإرصان العقلي للنزوات الجنسية والنزوات العدوانية، على العكس من أختها التي تعاني من إفلاس قدرات الإرصان العقلي للنزوات الجنسية والنزوات العدوانية .

- الفرضية الجزئية 03 : تتمتع التوأم الجلدة بالقدرة على ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات على العكس من التوأم غير الجلدة التي تخفق في ذلك .

**منهجية الدراسة :**

تكونت عينة دراستنا من توأم حقيقي تبلغان أربعة عشرة سنة من العمر، إحداهما جلدة والأخرى غير جلدة، وذلك لتحقيق دراستنا المقارنة، فبالرغم من أن الجلَد سيرورة وليس حالة، إلا أنه من الضروري القيام بهذا التقسيم لغرض المقارنة وإجراء دراسة كيفية معمقة، وليس تصنيف هذه في مجموعة وتلك في مجموعة أخرى، بل ما يهمنا هنا هو أيهما كانت جلدة لحظة إجراء الدراسة ومن لم تكن كذلك .

وكانت محكات اختيار العينة كالآتي :

- محكات مشتركة:
  - التعرض لصدمة عنيفة أو عدة ضربات مؤلمة .
  - السلامة من الأمراض الخطيرة .
  - مستوى عاد من الذكاء .
- محكات خاصة بالفتاة الجلدة :
  - متابعة الدراسة بطريقة عادية دون إعادة أي سنة مع النجاح فيها .
  - غياب الاضطرابات النفسية، الجسدية و السلوكية .
- محكات خاصة بالفتاة غير الجلدة :
  - صعوبات دراسية .
  - المعاناة من اضطرابات نفسية، جسدية و/ أو سلوكية .

**الإطار المكاني للدراسة :**

أجرينا دراستنا بـ "دور الطفولة المسعفة" الواقعة بحي الهواء الجميل بمدينة سطيف، أنشئت هذه المؤسسة بمرسوم رقم 83/80 المؤرخ ب 15 مارس 1980 المتضمن إنشاء وتنظيم وسير أحياء الطفولة .

**الإطار الزماني :**

استغرقت دراستنا حوالي خمسة أشهر من نوفمبر 2008 إلى غاية شهر أفريل 2009 .

**أدوات الدراسة :**

لقد اعتمدنا في دراستنا على الملاحظة والمقابلة نصف الموجهة، وبصفة رئيسية على اختبار الرورشاخ، لأن هذا الاختبار محرّر من القيود الثقافية، ويسمح لنا بتقييم الأبعاد النفسية العميقة كالإرصان العقلي، الحياة الخيالية، العقلنة .. الخ . وذلك انطلاقا من المحددات التالية :

**1 ـ محددات إرصان النزوات :**

1 ـ 1 ـ محددات إرصان النزوات الجنسية :

ـ حساب معامل الإرصان الرمزي للنزوات الجنسية الذكرية : تتمثل في استخراج استجابات الفتاتين التي ترمز للقضيب في البطاقات 4 و 6 والاستجابات التي تذكر بتفاصيل ناتئة في البطاقات الأخرى . يتم حساب معامل الإرصان الرمزي بالعودة للأصناف الأربعة التي حدّدها Cassiers 1968 .

ـ حساب معامل الإرصان الرمزي للنزوات الجنسية الأنثوية : يتعلق الأمر هنا باستخراج الاستجابات ذات الرمزية الجنسية الأنثوية (ب+، ج+، د، هـ) في البطاقات 2، 7، 9 والاستجابات التي تذكر بالتفاصيل المقعرة في باقي البطاقات .

1 ـ 2 ـ محددات إرصان النزوات العدوانية :

ـ حساب معامل الإرصان الرمزي للنزوات العدوانية : يتعلق الأمر هنا بتحديد الاستجابات التي ترمز للعدوانية (ب+، ج+، د، هـ) بشكل خاص في البطاقات 2 و 3 و في كل البطاقات .

1 ـ 3 ـ محددات الإرصان العقلي للعاطفة :

ـ فيما يخص عاطفة القلق : ويتم بقدرة الفتاتين على ربط هذه العاطفة بتمثيلة شكلية أو حركية ملائمة، وعندما تبدي استجابات فظة، فهذا دليل على أن عمل الربط مستحيل .

- فيما يخص عاطفة الاكتئاب : كذلك بالقدرة على ربط هذه العاطفة بتمثيلة شكلية أو حركية ملائمة. و عندما تبدي استجابات فظة فهذا دليل على أن عمل الربط مستحيل.

**2 - محددات غنى الفضاء الخيالي :**

- العدد الكلي للاستجابات : كلما ارتفع هذا العدد كلما اعتبر الفضاء الخيالي غنيا، والعكس قلة الاستجابات تعكس الفقر الخيالي .
- اللجوء للاستجابات الحركية : ارتفاع عدد الاستجابات الحركية يعكس غنى الخيال، بينما نقصها يعكس فقر هذا الأخير .
- نمط الخبرة : إذا كان coarté أو متعادلا فهذا يدل على فقر خيالي .

**عرض وتحليل الحالتين :**

مروة وسلوى فتاتان مجهولتا النسب، مسعفتان، وضعتا منذ أيامهما الأولى في دور الأطفال المسعفين، لا نملك أي معلومات عن ظروف وضعهما الأول، إذ بعد أيام قلائل تم التكفل بهما من طرف زوجين متقدمين في السن، وقاما بإعطاء لقبهما للفتاتين . عانت الفتاتان الأمرين بعد فقدان الأم لبصرها كونها مصابة بالسكري، إذ كن يقمن بكافة الأعمال المنزلية وهن لم يبلغن بعد سن الخامسة من العمر .

عندما بلغت الفتاتان سن السابعة من العمر، تعرض الأب لحادث مرور أودى بحياته، مما أدى لتفاقم مرض الأم ودخلت المستشفى تاركة وراءها سلوى ومروة للجيران، ولم تمر سوى 7 أشهر على وفاة زوجها حتى لحقت به، فتكفلت شقيقتها بالفتاتين، ولكن بُعد مقر سكنها النائي عن المدرسة عقد من وضعيتهما، إذ اضطرتا للتوقف عن الدراسة مدة سنة كاملة، ثم وجدت الخالة عدة عقبات لإعادة تسجيلهما في مدرسة أخرى، في الأخير تمكنت الخالة من تسجيلهما في مدرسة جديدة ولكنها أيضا بعيدة عن مقر سكنها، فكانتا تستقلان يوميا الحافلة وهذا ما جعل زوج الخالة المتقاعد والذي لديه 7 أبناء بدوره لا يحتمل هذه الوضعية من الناحية المادية، وطلب من زوجته التخلي عنهما لشقيقتها التي تقطن بالعاصمة، ولكن هذه الأخيرة أصرت على الاحتفاظ بإحدى الفتاتين فقط، وهذا ما رفضته الخالة الأولى، إذ أصرّت على عدم فصلهما، إما الاحتفاظ بهما معا أو التخلي عنهما معا .

أمام هذا الصراع اضطرت الخالة لإرجاعهما لدور الأطفال المسعفين وإخبارهما أنها ليست خالتهما الحقيقية، وأنهما مجهولتا النسب، أحضرتهما أختها وزوجها من أحد المراكز الحكومية ليؤنسا وحدتهما بعد تقدمهما في السن وإصابة أحدهما بالسكري .

1 ـ التوأم الجلدة مروة :

مروة فتاة بشوشة، أنيقة، تدرس بالسنة الأولى متوسط، تحب دراستها وجد متأقلمة في المركز، لها صديقات كثيرات من بينهن اثنتين تحبهما كثيرا تدرسان معها بنفس القسم، كما أنها جد متعلقة بأختها فهي تتكلم عنها كثيرا، تحبها وتخاف عليها، ومن يسمعها تتحدث عنها يعتقد أنها تكبرها سنا، إذ إنها طلبت منا مساعدتها . وقد تجاوبت مروة معنا بسهولة، فسرعان ما تأقلمت ومنحتنا ثقتها الكاملة، تحب مروة الأغاني الشعبية والمسلسلات المدبلجة خاصة التركية، وتأمل أن تواصل دراستها الجامعية وتصبح باحثة .

النقاط الحساسة :

ـ عانت مروة من الإهمال في طفولتها (4، 5 سنوات) .
ـ وفاة الأب ثم استشفاء و وفاة الأم .
ـ التوقف عن الدراسة لأكثر من سنة .
ـ إحضارها لدور الأطفال المسعفين و إعلامها بأنها مجهولة النسب (مسعفة) .
ـ لكون مروة فتاة مسعفة يحتمل معاناتها من عوامل خطر تتعلق بسوابق والدتها مثل عدم رغبة الأم في الإنجاب (محاولات إجهاض)، الأمهات العازبات يلدن غالبا وحدهن في ظروف ضاغطة، وتنعدم فيها أدنى الشروط الصحية، بالإضافة للشعور بنقص القيمة جراء الرفض الاجتماعي ( ابنة الحرام) .
ـ لا تعاني مروة من أي اضطراب جسدي، نفسي أو سلوكي، كما أنها لم ترسب في أي سنة دراسية، بل تتابع دراستها بصفة طبيعية باستثناء التأخر الذي تسبب فيه توقفها لمدة سنة، ولهذا فهي فتاة جلدة .

التحقق من الفرضية الفارقية العامة المتعلقة بالتوظيف الجيد لنظام ما قبل الشعور عند التوأم الجلدة : للتحقق من هذه الفرضية نتحقق من الفرضية الإجرائية والفرضيات الجزئية الآتية:
ـ التحقق من الفرضية الإجرائية المتعلقة بالنوعية العالية للعقلنة عند التوأم الجلدة :
ـ التحقق من الفرضية الجزئية المتعلقة بثراء الحياة الخيالية عند التوأم الجلدة :
انطلاقا من اختبار الرورشاخ : كما سبق وأن أشرنا إليه هناك عدد من العوامل التي تعبر عن ثراء الفضاء الخيالي، وهي : العدد الكلي للإجابات، عدد الإجابات الحركية، نسبة الإجابات الشكلية، نسبة الإجابات الحيوانية، نمط الخبرة، وقد لخصنا هذه العوامل في الجدول التالي :

| | ب1 | ب2 | ب3 | ب4 | ب5 | ب6 | ب7 | ب8 | ب9 | ب10 | المجموع | المعيار |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ر | 4 | 3 | 4 | 4 | 5 | 3 | 3 | 5 | 6 | 7 | 44 | 20 – 30 |
| حرب حرجي | حرب | حرش | | | | | حرب | | | | | 3 – 5 |
| حرب فقط | حرب | | | | | | حرب | | | | | 1 – 2 |
| نمط الخبرة | | ل | | | | | | | ل | ل | انبساطي مختلط | |
| ش٪ | 3 | 1 | 4 | 3 | 5 | 3 | 2 | 5 | 5 | 6 | 84.09 | ٪60 |
| حي٪ | 2 | | 1 | 1 | 5 | 2 | 2 | 1 | | 3 | 38.63 | ٪65 |

كما يمكننا أن نلاحظ كل العوامل التي حددناها إيجابية، ما عدا عامل واحد وهو ش % الذي يفوق المعيار، وهو ما يدل على أن اللجوء للخيال عند مروة لا يلهيها عن الرجوع للواقع.

- التحقق من الفرضية الجزئية المتعلقة بالقدرة على الإرصان العقلي للنزوات الجنسية والنزوات العدوانية عند التوأم الجلدة :

لخصنا العوامل سابقة الذكر المتدخلة في تقييم القدرة على ترميز النزوات الجنسية والنزوات العدوانية في الجدول التالي :

| | ب1 | ب2 | ب3 | ب4 | ب5 | ب6 | ب7 | ب8 | ب9 | ب10 | مج |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ترميز النزوات الجنسية ذ | | ب+ | ب+ ب+ | ب+ ب+ | | ب+ | ب+ | ب+ | ب+ | ب+ | +2 |
| ترميز النزوات الجنسية أ | | ه | ب+ | | | | | | ب+ | ب+ ب+ | +1.2 |
| ترميز النزوات العدوانية | | ب+ ه | | ج+ | | ب+ | | ب+ | د د | ب+ ب – | +0.62 |
| وجدان القلق | | | | ش فق | | | | | | | 1 |
| وجدان الاكتئاب | | | | | | | | | | | 0 |

فيما يتعلق بإرصان النزوات الجنسية والعدوانية نستقي من الجدول نوعية عالية جدا لإرصان النزوات الجنسية الذكرية (10 ب+) 2 ب+ في البطاقة الرابعة ذيل (ج ش+حي ج ب+)، جذع شجرة ( ج ش+ نبات ب+)" و 1 ب+ في البطاقة السادسة صاروخ ( ج ش+ شيء ب+)، و نوعية حسنة لإرصان النزوات الجنسية الأنثوية حيث قدر معامل الإرصان النزوي للنزوات الجنسية الأنثوية ب + 1.2 حيث إن عدد الاستجابات الراجعة لرمزية جنسية أنثوية في البروتوكول هي 4 ب+ . ولكن هناك فشل في إيجاد الرمزية الجنسية الأنثوية في البطاقات 2 و 7 والتي عكست أستجابات رمزية ذكرية في البطاقة الثانية صاروخ ( ج ف ش+ شيء ب+) وفي البطاقة السابعة "زوج بنات مدايرين قطاطش يلعبو" (ك ش+ ب ب+) ولكن في البطاقة رقم 9 نجحت في ذلك "وردة" (ك ش+ نبات ب+) .

قدّر معامل إرصان النزوات العدوانية ب + 0.62 وهذا يعني إرصان مقبول للنزوات العدوانية بالرغم من غيابها في البطاقة الثالثة، ولكنها ذات نوعية جيدة في البطاقة الثانية صاروخ (ج ف ش+ شيء ب+) .

ـ التحقق من الفرضية الجزئية المتعلقة بالقدرة على ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات عند التوأم الجلدة : عندما تجتاح مروة نوبة قلق تستطيع ربط هذا الوجدان بتمثيلة، وهذا يظهر في البطاقة الرابعة شيطان ( ك ش فق ب)، كما تمكنت مروة خلال المقابلات من التعبير عن عواطفها، فكانت تبكي عندما تتذكر وفاة والدها وتقول في ذلك : "مين نتفكرو نبكي يغيضني بزاف وهو جامي ظلمنا الله يرحمو" . بينما لا يظهر الاكتئاب في البروتوكول وهذا يدل على نجاح الكبت .

تقدر نسبة الإجابات الشكلية عند مروة ش% ب 84.09% ، و ش +% ب 75.67%، وهي نسب مرتفعة، وهذا يدل على الاستعمال الجامد ولكن المتكيف والناجح للآليات الدفاعية، أما نسبة الإجابات الحيوانية فيقدر بـ 38.63 % بينما عدد الشائعات هو: 6 ومنه تتمتع مروة بالقدرة على التكيف مع الواقع الخارجي والامتثال للمجتمع .

**حوصلة :**

تتمتع مروة بتوظيف جيد لنظام ما قبل الشعور، ويتضح ذلك من خلال القدرة العالية على العقلنة، وكذا تتميز بثراء الحياة الخيالية والقدرة الجيدة على إرصان النزاوت الجنسية والعدوانية، وإمكانية ربط وجدان القلق بتمثيلة، وكبت وجدان الاكتئاب .

**2 ـ التوأم غير الجلدة :**

سلوى هي الشقيقة التوأم لمروة، تعرضنا لتاريخ حياتها عندما تطرقنا لحياة مروة،

تدرس سلوى بقسم محو الأمية التابع لدور الأطفال المسعفين، إذ إنها أوقفت عن الدراسة بالسنة الثالثة ابتدائي بعد إعادة هذه السنة، وتحجج المعلم أنها متخلفة ذهنيا، ولكن الواقع يثبت غير ذلك، فسلوى تتمتع بقدر عادي من الذكاء .

تبدو سلوى للوهلة الأولى فتاة هادئة وخجولة تجد صعوبة في الاتصال بنا، وعندما سألناها عن سبب وضعها في دور الأطفال المسعفين، أخبرتنا أن والديها توفيا في حادث مرور وأنكرت أنها مجهولة النسب، وعن المشاكل التي مرت بها وتوقفها عن الدراسة بالسنة الثالثة ابتدائي أخبرتنا بأنها ضيعت دفترها المدرسي، فعوقبت بإيقافها عن الدراسة ( حصلنا على المعلومات الصحيحة من شقيقتها ومن المسؤولة البيداغوجية التي أكدت كذب سلوى) .

تعاني سلوى من توتر في العلاقات مع زميلاتها بالمركز، فهي في نظر الكل تلك الفتاة غير المؤدبة، الكذابة، العدوانية، ولكن خلال المقابلات تتحدث و كأنها هي الضحية وأنها مظلومة باللجوء إلى آلية دفاعية بدائية وهي آلية الإسقاط، إذ تقول : "ماهوش عاجبني الحال هنا، الظلم، القوي يأكل الضعيف .." .

أما عن اهتماماتها فتبدو بعيدة عن اهتمامات بنات سنها، فهي لا تحب مشاهدة التلفاز ولا سماع الأغاني، ولا الخروج للتقسح . بل تقضي نهارها في تنظيف غرفتها، الدراسة أو المشاغبة، كما تحب البقاء إلى جانب مربيتها التي تعطيها بعض المعلومات عن النباتات الطبية، إذ إن هذه الأخيرة مهتمة بهذا المجال .

لا تتكلم سلوى كثيرا ولا تتحدث إلا إن سألناها فتجيب على قدر السؤال، فهي تقضي معظم وقت المقابلة تحدق في الأرض أو في أيديها، مقطبة حاجبيها، فهي لم تكن مرتاحة تماما خاصة عند تمرير اختبار االرورشاخ، وأصبحت فيما بعد ترفض الالتقاء، ولم تعد تتجاوب معنا .

**النقاط الحساسة :**

- عانت سلوى من الإهمال في طفولتها (4، 5 سنوات)
- وفاة الأب ثم استشفاء ووفاة الأم .
- التوقف عن الدراسة .
- إحضارها لدور الأطفال المسعفين وإخبارها بأنها مجهولة النسب (مسعفة) .
- كون سلوى فتاة مسعفة شأنها شأن شقيقتها فيحتمل كذلك معاناتها من عوامل الخطر نفسها التي تتعلق بسوابق والدتها مثل عدم رغبة الأم في الإنجاب (محاولات إجهاض)، الأمهات العازبات يلدن غالبا وحدهن في ظروف ضاغطة، وتنعدم فيها أدنى الشروط الصحية، بالإضافة للشعور بنقص القيمة جراء الرفض الاجتماعي (ابنة الحرام) .

- لا تعاني سلوى من أي اضطراب جسدي، ولكنها تعاني من اضطرابات نفسية سلوكية ظاهرة كالعدوانية والكذب، بالإضافة لهذا فهي ليس لديها صديقات ولا أصدقاء، لا تحب الدراسة في قسم نحو الأمية بحجة أنها ليست أمية، وأنها درست لغاية السنة الثالثة، ولكن معلمة القسم تشكو منها كونها مشاغبة ولا تستوعب شيئا .

- التحقق من الفرضية الأولى المتعلقة بإخفاق توظيف نظام ما قبل الشعور عند التوأم غير الجلدة : وللتحقق من هذه الفرضية نتحقق من الفرضية الإجرائية و الفرضيات الجزئية الآتية :

- التحقق من الفرضية الإجرائية المتعلقة بسوءالعقلنة عند التوأم غير الجلدة:

- التحقق من الفرضية الجزئية المتعلقة بفقر الحياة الخيالية عند التوأم غير الجلدة:

انطلاقا من اختبار الرورشاخ :

| | ب 1 | ب 2 | ب 3 | ب 4 | ب 5 | ب 6 | ب 7 | ب 8 | ب 9 | ب 10 | مج | المعيار |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ر | 1 | 2 | 2 | | 1 | 2 | | 4 | 1 | | 13 | 30.20 |
| حرب حرجي | | | | | | | | | | | 0 | 5.3 |
| حرب فقط | | | | | | | | | | | 0 | 2.1 |
| نمط الخبرة | | | ل شَ | | | | | | | | انبساطي خالص | |
| ش٪ | 1 | 2 | 1 | | 1 | 2 | | 4 | 1 | | ٪92.30 | ٪60 |
| حي٪ | | 1 | | | 1 | 2 | | 4 | 1 | | ٪69.23 | ٪65 |

نلاحظ من الجدول انخفاض انتاجية سلوى، إذ قدر عدد استجاباتها بـ 13 استجابة وهو عدد منخفض، بالإضافة للغياب الكلي للاستجابات الحركية، كما يدل الإرتفاع الكبير لـ ش% (92.30%) وكذا ارتفاع حي % (69.23%) على التمسك المفرط بالواقع الخارجي وخنق الحياة الخيالية . أما العنصر الإيجابي هنا فهو نمط الخبرة الانبساطي الخالص .

- التحقق من الفرضية الجزئية المتعلقة بإفلاس قدرات الإرصان العقلي للنزوات الجنسية والنزوات العدوانية .

لخصنا العوامل سابقة الذكر المتدخلة في تقييم القدرة على ترميز النزوات الجنسية و النزوات العدوانية في الجدول التالي :

| | ب1 | ب2 | ب3 | ب4 | ب5 | ب6 | ب7 | ب8 | ب9 | ب10 | مج |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ترميز النزوات الجنسية ذ | | | | | | | | | | | 0 |
| ترميز النزوات الجنسية أ | | | | | | | | | | | 0 |
| ترميز النزوات العدوانية | | | ب+ | | | ب+ | | ب+ | | | 2+ |
| وجدان القلق | | | | | | | | | | | 0 |
| وجدان الاكتئاب | | | | | | | | | | | 0 |

فيما يتعلق بإرصان النزوات الجنسية والعدوانية نستقي من الجدول استحالة إرصان النزوات الجنسية الذكرية والأنثوية في بروتوكول سلوى، إذ أنها لم تعط أي استجابة ذات رمزية جنسية سواء ذكرية أو أنثوية في البطاقات الجنسية أو في باقي البطاقات .

أما فيما يخص إرصان النزوات العدوانية فقدر معامل إرصانها ب +2 وهذا يعني إرصانا جيدا للنزوات العدوانية بالرغم من غيابها في البطاقة الثانية، ولكنها ذات نوعية جيدة في البطاقة الثالثة وحش (ج ش+ ب (ب+) . وهذا ما يظهر في الواقع فهي توجه عدوانيتها بسهولة اتجاه الآخرين . إذن تعاني سلوى من إفلاس ترميز النزوات الجنسية فقط .

- التحقق من الفرضية الجزئية المتعلقة بإخفاق ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات عند التوأم غير الجلدة : نلاحظ الغياب الكلي لربط التمثيلات بالوجدان سواء تعلق ذلك بوجدان القلق أو بوجدان الإكتئاب في بروتوكول سلوى، وهذا ما لمسناه خلال المقابلات، فسلوى لم تبد أي انفعال أو عاطفة عند سرد الأحداث، فعاطفتها مجمدة، ولا ننفي ظهور بعض علامات القلق كتقطيب الحاجبين أو التأفف .

**حوصلة :**

تعاني سلوى من إخفاق في توظيف نظام ما قبل الشعور، ويتضح ذلك من خلال سوء العقلنة، وكذا تتميز بفقر الحياة الخيالية، إفلاس قدرات الترميز الجنسي، والإخفاق في ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات . إلا أن نمط خبرتها انبساطي خالص، وتتمتع بقدرة حسنة على إرصان النزوات العدوانية .

**التحليل العام للنتائج :**

بإمكاننا تلخيص النتائج المتوصل إليها في الجدول التالي :

| | مروة | سلوى |
|---|---|---|
| **الفرضية العامة : توظيف نظام ما قبل الشعور** | توظيف جيد لنظام ما قبل الشعور<br>هذه الفرضية محققة | إخفاق في توظيف نظام ما قبل الشعور<br>هذه الفرضية محققة |
| **الفرضية الإجرائية : نوعية العقلنة** | تتمتع بنوعية عالية للعقلنة<br>هذه الفرضية محققة | تعاني من سوء العقلنة<br>هذه الفرضية محققة |
| **الفرضية الجزئية المتعلقة الحياة الخيالية** | تتمتع بثراء الحياة الخيالية<br>هذه الفرضية محققة | تعاني من فقر الحياة الخيالية<br>هذه الفرضية محققة |
| **الفرضية الجزئية المتعلقة بالإرصان العقلي للنزوات الجنسية والعدوانية** | تتمتع بقدرة عالية على إرصان النزوات الجنسية والعدوانية<br>هذه الفرضية محققة | تعاني إفلاسا في إرصان النزوات الجنسية والعدوانية<br>هذه الفرضية محققة جزئيا |
| **الفرضية الجزئية المتعلقة بربط القلق والاكتئاب بتمثيلات** | تتمتع بالقدرة على ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات<br>هذه الفرضية محققة | تعاني من إخفاق في ربط وجداني القلق و الاكتئاب بتمثيلات<br>هذه الفرضية محققة |

نبدأ تحليلنا بالتأكد من تحقق الفرضيات الجزئية، فالفرضية الإجرائية، ومن ثم الفرضية العامة .

- الفرضية الجزئية 01 : تتمتع التوأم الجلدة بحياة خيالية ثرية على العكس من شقيقتها غير الجلدة التي تعاني من فقر الحياة الخيالية .

تحققت هذه الفرضية عند التوأمين بالرغم من تمتع التوأم غير الجلدة بنمط خبرة منبسط خالص، وتمسك التوأم الجلدة بالواقع، والعودة لآليات دفاعية جامدة ومتكيفة . وهذا يدل على أن ثراء الحياة الخيالية هو أحد عوامل الحماية ولكن لا يلعب دورا كالذي تلعبه العقلنة في بناء الجلد .

- الفرضية الجزئية 02 : تتمتع التوأم الجلدة بالقدرة على الإرصان العقلي للنزوات الجنسية والنزوات العدوانية، على العكس من أختها التي تعاني من إفلاس قدرات الإرصان العقلي للنزوات الجنسية والنزوات العدوانية .

تحققت هذه الفرضية بالنسبة للتوأم الجلدة وتحققت جزئيا بالنسبة للتوأم غير الجلدة، إذ تعاني هذه الأخيرة من استحالة إرصان النزوات الجنسية ومن ترميز حسن للنزوات العدوانية، يبدو أنه ليس لإرصان النزوات العدوانية الأثر البالغ في بناء الجلد ولكن على العكس يعد الإرصان العقلي للنزوات الجنسية الأنثوية والذكرية عاملا هاما من عوامل بناء الجلد من خلال إرصان الإثارات النزوية التي تثيرها الصدمات .

. الفرضية الجزئية 03 : تتمتع التوأم الجلدة بالقدرة على ربط وجداني القلق والاكتئاب بتمثيلات على العكس من التوأم غير الجلدة التي تخفق في ذلك .

تحققت هذه الفرضية بالنسبة للتوأمين، فالقدرة على ربط وجدان القلق والاكتئاب بتمثيلات يعد عاملا هاما من عوامل الجلد .

تحققت الفرضية الإجرائية عند التوأمين "تتمتع التوأم الجلدة بنوعية عالية من العقلنة على العكس من شقيقتها التوأم غير الجلدة التي تعاني من سوء العقلنة"، ومن هنا يتجلى أن للعقلنة دور هام في بناء الجلد .

تحققت الفرضية الفارقية العامة "تتمتع التوأم الجلدة بتوظيف جيد لنظام ما قبل الشعور على العكس من شقيقتها التوأم غير الجلدة التي تعاني من إخفاق في هذا التوظيف" .

بالرغم من أنه لا يمكننا مقارنة دراستنا بالدراسات السابقة كونها تختلف عنها من حيث العينة، ومن حيث مجتمع الدراسة، فإننا توصلنا إلى النتائج نفسها إلى حد ما، فالقدرة على العقلنة وبالتالي إرصان النزوات العدوانية والجنسية، وربط الوجدان بالتمثيلات، دور فعال في نسج سيرورة الجلد .

إذن انطلاقا من دراستنا ومن الدراسة السابقة التي قام بها Claude de Tychey, Mariana Popa, Rosine Diwo, Amandine Theis سنة 2007 على توأم غير حقيقي (Dizygotes) وهما فتاتان من رومانيا، نستخلص أن الجلد يتحدد بسيرورات نفسية فردية وعلائقية، ولا يرجع لعوامل وراثية جينية .

## مراجع :


1 . سهيل إدريس . 2007 . المنهل، قاموس فرنسي عربي، بيروت، دار الآداب، ط 38 .

2 . المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم . 1989 . المعجم العربي الأساسي . جامعة الدول العربية . لاروس .

3 - Anaut marie, 2007, la resilience surmonter les traumatismes, France, Armand Colin

4 - Cyrulnik Boris, 2002, un merveilleux malheur, Paris Odile Jacob.

5 - Cyrulnik Boris, 2005, le tissage de la résilience au cours des relations précoces, in fondation pour l'enfance, la résilience : le réalisme de l'espérance, Ramonville, Saint Agne, Erès. pp. 27, 44 .

6 - Cyrulnik Boris, Duval Philippe,2006, psychanalyse et résilience, Paris, Odile Jacob .

7 - De Tychey Claude ,2001, Surmonter l'adversité les fondements dynamiques de la résilience www.cairn.info/load_pdf.php?ID_ARTICLE=CPC_016_0049 .

8 - De Tychey Claude, Lighezzolo Joëlle, 2006, la résilience au regard de la psychologie clinique psychanalytique, in Cyrulnik Boris, Duval Philippe, psychanalyse et résilience, Paris, Odile Jacob, pp. 127, 154 .

9 - Moutassem-Mimouni Badra, la resilience des enfants abandonnés en Algérie, in fondation pour l'enfance, la résilience : le réalisme de l'espérance, Ramonville, Saint Agne, Erès. pp. 117, 126 .

10 - Theis Amandine, 2006, approche psychodynamique de la résilience, etude clinique projective comparée d'enfants ayant été victimes de maltraitance familiale et placés en famille d'acceuil, Thèse pour obtenir le grade de docteur de l'université de Nancy2,www.univ-nancy2.fr/recherche/theses/theses2006.